تكتيك وإستراتيجية عبد المؤمن بن علي العسكرية في حروبه "حصار المهدية وسقوطها" أنموذجا

الأستاذ/ علي عشي

قسم التاريخ/ جامعة خنشلة

مقدمة:

لقد فتح عبد المؤمن جميع بلاد الحماديين باستثناء بونة، ولعل انشغال عبد المؤمن بتوطيد أركان الدولة، وما ينتظره من جهاد في الأندلس جعله لا يتقدم نحو إفريقية ويحرر سواحلها من النورمان، أو ربما أراد أن يستعد لذلك جيدا برا وبحرا، ولا يستبعد حسب ما جرت عليه التطورات، أن عبد المؤمن كان على إطلاع جيد بأوضاع إفريقية، ففضل انتظار رد الفعل المحلي حتى يتدخل، فيكون تدخله حاسما ضد النورمان الذين بدؤوا يشعرون بتنامي قوة الموحدين البرية والبحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط[1].

لقد استطاعت دولة الموحدين وعلى رأسها قائدها العسكري الفذ عبد المؤمن بن علي من تكوين جيش قوي ومحنك، مكنها من السيطرة على بلاد المغرب والأندلس وطرد النورمانديين ومحاصرة المهدية إلى غاية أخراجهم منها في يوم عاشوراء من سنة 555هـ/ 1160 م.

ومن هنا تأتي إشكالية المداخلة وهي: **هل تغلب الجيش الموحدي على النورمنديين بفضل تكتيك وإستراتيجية عبد المؤمن العسكرية البرية والبحرية أم ساهمت عوامل أخرى في إنجاح هذا الحصار والاقتحام؟**

---

1) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، تعريب أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط1389هـ/1980، ص69.

وبالتالي ستكون مداخلتنا ضمن محور الاستراتيجيات والخطط العسكرية، وستكون وفق الخطة التالية:

مقدمة:

أولا: المهدية من مدينة الفاطميين إلى قاعدة الموحدين

ثانيا: الظروف العامة قبل الحملة " التنظير والتحضير""أو تكتيك توفير المؤونة وتأمين الظهر"

ثالثا: التكتيك العسكري لعبد المؤمن خلال الحصار أو "التحول نحو العمل البحري"

رابعا: إستراتيجيته بعد الحصار" إستراتيجية إنشاء قاعدة عسكرية لضمان التوسع والولاء"

خاتمة تضمنت أهم النتائج و استعادت الموحدين الهيبة المتوسطية

أولا: المهدية من مدينة الفاطميين إلى قاعدة الموحدين

"المهدية" مدينة تونسية مشهورة تقع شرق مدينة تونس العاصمة أسسها الفاطميون لتكون عاصمة لهم في مكان آمن داخل الأراضي الشرقية لتونس وذلك في عهد الخليفة عبيد الله المهدي عام 916م/ 305هـ، بينها وبين القيروان ستون ميل، والبحر قد أحاط بها من ثلاث جهات، وإنما يدخل اليها من الجانب الغربي، ولها ربض كبير يعرف بزويلة...وفي المهدية من المواجل العظام ثلاث مائة وستون غير ما يجري إليها من القناة التي بيها والماء الجاري بالمهدية جلبه عبيد الله من قرية منانُش[1].

1) البكري:المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وهو جزء من المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د ت، ص29-30.وقد ذكر أن المهدي شرع في بنائها سنة 300هـ واستكملها في سنة 305 هـ وانتقل إليها في شوال 308 هـ.

ويذكر ياقوت الحموي عنها:" مدينة بإفريقية منسوبة للمهـــدي، بينـــها وبين القيروان مرحلتان، القيروان في جنوبها، والثياب السوسية المهدوية إليهـــا تنسب، وقد اختطها المهدي...وهي على ساحل بحر الروم داخلة فيه ككـــف على زند، عليها سور عال محكم كأعظم ما يكون يمشي عليه فارسان، عليهـــا باب من حديد مصمت[1].

وانتقل المهدي إليها منذ عام 920م/ 307هـــ، وكانت المدينة شـــديدة التحصين وينسب إلى المهدي قوله عنها بعد مشاهدته لها ''آمنت اليـــوم علـــى الفواطم''، وربما يكون خير دليل على ذلك تعرضها للحصار الشديد لمدة عـــام ونصف ولكنها صمدت وهزمت أعدائها[2].

وبذل المهدي الكثير من المال والجهد في تحصينها بأبواب حديدية سميكـــة عالية، وسور قوى ومرتفع من الحجر تحيطه الأبراج والبوابات الثقيلة وبني فيها صوامع كبيرة تسع الأطنان من الغلال.

يذكر المراكشي عنها" وهي من معاقل المغرب المنيعة، لأن بنيانها في غاية الإحكام والوثاقة، بلغني أن عرض حائط سورها يمشي ستة أفـــراس في صـــف واحد، ولا طريق لها من البر إلا على باب واحد، والبحر في قبضة من في البلد، يدخل الشيني كما هو بمقاتلته إلى داخل دار الصناعة"[3].

فما لا شك فيه أن المهدية كانت تتمتع بموقع استراتيجي هام بين سفاقس والمنستير في جزيرة متصلة بالبر، وبوجود مرسى منقور في حجر صـــلد يســـع

---

1) الحموي: معجم البلدان، دار صادر بيروت، 1977، ج5، ص230.

2) أحمد مختار العبادي، و السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام، دار الثقافة العربية، بيروت ، 1972، ص71.

3) المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان، ط3، د ت، د ط، ص 299.

ثلاثين مركبا يقوم على طرفيه برجان بينهما سلسلة من حديد تحميه من طروق مراكب الروم[1].

لقد احتل الإفرنج بقيادة جورجي الأنطاكي مدينة المهدية في 2 صفر سنة 543هـ/الثلاثاء 22 يونيو 1148م، لحساب روجار الثاني ملك صقلية وكان عدد سفن أسطوله 254 سفينة[2]، ولجا صاحبها الحسن بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي إلى عبد المؤمن، كما استجار به الناجون من المسلمين في زويلة[3].

وعندما دخلها الجيش الموحدى فوجد سورها عاليا فانبهر لبنائها الحصين، كما يوجد بها أفخر المساجد والمبانى وكان فيها أكثر من ستين صهريج للمياه والعديد من الأسواق والمتاجر والحدائق والحمامات.

ثانيا: الظروف العامة قبل الحملة " التنظير والتحضير""أو تكتيك توفير المؤونة وتأمين الظهر":

لقد رأى عبد المؤمن، قبل أن يتابع الفتح في الأندلس بكل قواه لابد أن يضع للدولة الجديدة نظماً موطدة الدعائم، فألغى النظم المرابطية العسكرية، والتي قد أدت إلى سخط الشعب وثورته على المرابطين على انه لم يسمح لهذه الحركة العلمية إلا بالقدر الذي يفيد الدولة والحكومة، واقترانها بالخدمة العسكرية والتمرين في فنون الحرب، وكان يخشى عبد المؤمن أن يؤدي

---

1) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة، ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1958، 117-118.

2) زويلة:بفتح أوله وكسر ثانيه، وبعده الياء المثناة من تحت الساكنة لام: بلدان أحدهما زويلة السودان مقابل أجدابية في البر بين بلاد السودان وإفريقية...والأخرى مدينة غير مسورة في وسط الصحراء، وهي أول حدود بلاد السودان...الحموي: المصدر السابق، ج3، ص159-160.

3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1972، ص197.

الانقطاع إلى العلم والدرس إلى إضعاف الهمم، وفتور الحماسة لدى الموحدين[1].

ومن حسن حظ عبد المؤمن بعد جهاده ونصره في الجبهة الأندلسية وما صاحبها من نمو ونشاط لأسطوله الفتي، أن ظروفا أخرى ظهرت في الأفق الإفريقي جعلته يشرع في إعلان النفير العام للجهاد ضد نصارى صقلية النورمان لطردهم من السواحل الإفريقية كلها، وإتمام مشروعه في توحيد كل بلاد العدوة تحت إمبراطورية إسلامية واحدة [2].

كما ضعف النفوذ النورماني في إفريقية وتزعزع موقفه، منذ أواخر عهد روجار الثاني، حيث يذكر ابن الأثير أنه لما عاد القائد النورماني " فليب المهدي" من غزوه لبونة سنة 548 هـ/1153م إلى صقلية، غضب روجار لما اعتمده المهدوي من الرفق بالمسلمين في بونة، لأنه عفي عن جماعة من العلماء والصالحين حتى خرجوا بأهاليهم وأموالهم إلى القرى، فاتهم بأنه يكتم الإسلام، وجمع روجار الأساقفة والرهبان فحكموا عليه بأن يحرق فحرق[3].

فأصبحت الظروف مهيأة أمام سكان بلاد المغرب للتخلص من الاحتلال النورماني، والاستقلال لما تحت أيديهم من الولايات[4]، فاندلعت عدة ثورات على السواحل الإفريقية، منها ثورة عمر بن الحسين الفرياني حاكم

---

1) يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1996، ج2، ص50.

2) روجي لي تورنو: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني والثالث عشر، تعريب أمين الطيبي، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط 2، الدار البيضاء، 1998، ص123.

3) الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2003، ج9، ص428.

4) ميخائيل أماري: المكتبة العربية الصقلية، دار صادر ، بيروت، ليبيسك 1857م، ص300.

صفاقس من قبل الرومان[1]، ثم انتقلت الثورة إلى طرابلس وثار بها " يحي بن مطروح" ثم عامل قابس" محمد بن رشيد"، وعامل جربة وجزيرة قرقنة في نفس السنة 551 هـ/1156م[2].

و لم يكتف عمر بن الحسين بثورته في صفاقس وأخذ يشجع مختلف المناطق على التمرد ضد النورمان، فأرسل إلى أهل زويلة يحثهم على الثورة، فلبوا دعوته، وقتلوا كل من لحقوا عليه، فلم ينجوا إلا من فر من النورمان لإلى صقلية، وتمادى أهل زويلة بعدما كثر جمعهم بالعرب وأهل صفاقس وغيرهم، وحاصروا الحامية النورمانية في المهدية وقطعوا عليها الماء والطعام[3].

وكل ما فعله صاحب صقلية أن أرسل عشرين شينيا بها الرجال والطعام والسلاح بقيادة قائد البحر فليب، فلما وصلوا إلى شاطئ المهدية ودخلوها أرسلوا إلى قبائل العرب المشتركين في الحصار وبذلوا لهم المال شريطة ترك حصار المهدية، وفي اليوم الثاني عندما كانت المعركة تظاهرت القبائل العربية المشاركة في الحصار بالهزيمة على الرغم من قلة النورمان، فانهزم المسلمون وفشل الحصار، واستطاع النورمان استعادة نفوذهم في المهدية وزويلة، وانتقموا من أهل زويلة، وتفرق أهل زويلة ومضا بعضهم إلى عبد المؤمن الموحدي[4]،

---

1) عندما استولى روجر الثاني على قابس سنة 543هـ/1147م أراد أن يستعمل عليها أبا الحسين واليا عليها من قبله لأنه عالما صالحا ومكانته في أهلها، لكنه اعتذر لكبر سنه، وعرض ولده عمر، ففعل لكنه أخذ والده كرهينة ليضمن طاعة أهل صفاقس للنورمان، ولهذا دعا عمر إلى الثورة سنة 551 هـ. **أماري : المصدر السابق، ص301**.

2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص403.

3) نفسه، ص403-404.

4)السلاوي: الاستقصاء ، تحقيق جعفر الناصري، و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954، ج2، ص120-121.

يستنجدونه ويستجيرون به فأكرمهم وقال لهم:" ابشروا لآنصرنكم ولو بعد حين" وأمر بإنزالهم وأطلق لهم ألفي دينار[1].

ومنذ سيطرت عبد المؤمن على سواحل المغرب الأوسط بدأ خطط وفق استراتيجية بعيدة المدى، ويتوق للتوسع في إفريقية مما كان يخشاه من عدوان النورمان على المغرب، إذ لما فتح بجاية وعين عليها ابنه عبد الله، عهد إليه أن يشن الغارات على نواحي إفريقية، وأن يضيق على تونس، ويمنع عنها المرافق التي تصل إليها على طريقه ففعل[2].

كان عبد المؤمن يجمعهم يوم الجمعة بعد الصلاة في قصره إلى معرفة مدى تقدم طلبته في فنون الحرب فيختبرهم في الطعن والرمي...والمبارزة وركوب الخيل والركض وفن القتال ثم في السباحة والمعارك البحرية، والوثوب إلى سفن العدو ومزاولة جميع التمارين، وكان يخص الذين يمتازون بالمهارة بعبارات المديح، ويقدم لهم الهدايا بنفسه ليحفز بذلك هممهم ويستزيد من غيرتهم واجتهادهم[3]، وهذا الأسلوب هو إستراتيجية التكوين والاعتماد على الكفاءات المحلية.

وما إن انتهى عبد المؤمن من تنظيم شؤون دولته الداخلية حتى أخذ يتأهب للجهاد، ويستعد للقيام بالحملة البرية والبحرية إلى إفريقية فبعث بالكتب إلى كافة قبائل الموحدين وأهل البلاد البحرية يستنفرهم للجهاد وإنشاء الأساطيل والأجفان[4].

---

1) النويري الكندي: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، لبنان، 1954، ج24، ص171.

2) المراكشي: المصدر السابق، ص297.

3) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1979، ص150-151.

4) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" قسم الموحدين"، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، وآخرون، دا الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985، ص61.

كان اشد ما يعنى به عبد المؤمن- وهو من أعظم قواد العصور الوسطى- هو تكتيك تنظيم شؤون الحرب والجهاد، فقد ذكر صاحب الحلل الموشية عن نظام سير الجند الموحدي وتقسيمه في الحرب التي شنها عبد المؤمن على الرومان الصقليين حينما استولى على تونس والمهدية " كان مسير الجيش بعد صلاة الصبح، وكانت علامة المسير ثلاثة قرعات من طبل ضخم دوره خمسة عشر ذراعا مدهون بلون الموحدين الأخضر، ومحلى بالذهب وقد صنع من خشب رنان، فكان يسمع على مسيرة نصف يوم، وكانت كل قبيلة تتبع علمها الخاص، وهو يحمل مطويا أثناء السير، ولا ينشر عندئذ سوى علم الطلائع، وقد كان مكونا من اللونين الأبيض والأزرق وعليه هلال مذهب"[1].

وقد شكلت نقط الماء محطات ذات بعد عسكري استراتيجي بالنسبة لجند عبد المؤمن، خاصة خلال معاركه البعيدة كحصار المهدية، وهو ما استوجب التحديد الدقيق للطرق والمسالك التي تعبرها الجيوش للاستراحة والتزود بالمياه[2]، " فكان لكل جيش من جيوشه يوم يختص به وماء ينزل عليه"[3]، وهو تكتيك استخدمه الرسول "ص" في غزوة بدر والاستحواذ على آبار المياه وحرمان العدو منها.

ويتميز جيش عبد المؤمن بضخامة في العدة والعدد، فقد كان يتألف – فضلا عن الفرسان–من سبعين ألفا من المشاة، وكان ينقسم إلى أربعة جيوش يفصل بعضها عن بعض أثناء السير مسيرة يوم، وهو تكتيك يبين قوة الذهنية العسكرية لعبد المؤمن، وذلك حتى لا يقع نقص في الماء، أو ضيق في المكان، وإذا كان معظم الجند مثقلا بالسلاح، فقد كانت مسيرة يوم قصيرة المدى،

1) مجهول: الحلل، المصدر السابق، ص152-153.

2) سعيد بنحماده: الغرب الإسلامي، مباحث في العلوم التجريبية، دار رؤية، للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013، ص165.

3) مجهول: الحلل، المصدر السابق، ص152-153.

وكان يقطع خلالها –عادة–عدة أميال فقط، وكان يقتصر على السير من شروق الشمس إلى وقت الظهر، وترتب على هذا التمهل في سير الجيش أن اقتضى عبد المؤمن ستة أشهر ليقطع المسافة بين سلا وتونس، وهي مسافة كان يقطعها فرق الفرسان في نحو شهرين[1]، وهذا التكتيك كان مقصودا من قبل عبد المؤمن حتى لا يتعب جيشه ويصل منهار القوى وبالتالي يكون لقمة سائغة للنرمان بل حتى للقوى المحلية المناوئة من بربر وقبائل عربية.

وتشير المصادر المعاصرة للموحدين أن عبد المؤمن اتخذ كل التدابير والوسائل لإنجاح الحملة على المهدية واستغرق ذلك مدة ثلاث سنوات[2]، وان دل على شيء فهو يبين أن إستراتيجيته بعيد المدى بل كان حتى يخطط لضرب المشرق.

وكان العسكر منقسما على أربعة عساكر، لكل عسكر يوم يختص به[3]، فإذا كان وقت النزول، نزلت كل قبيلة في منازلها، وعلى ترتيبها، لا يتعدى أحد طوره، لهم رتب معلومة، قيدها الحد، وحماها الخوف، وفي محلته جميع الصناع وكل ما يحتاج إليه المسافر معهم، كأنه مقيم بداره[4].

فاتخذ الاحتياطات الأمنية اللازمة، واضعا في حسبانه ما يكون من طول فترة الحرب أو مطاولة النورمان الصبر للحصار في حالة إن وصلت إليهم مساعدات من صقلية[5].

---

1)أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص55-56.

2)السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص121؛ **و أحمد السيد زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، المطبعة الأميرية، مكة، 1302، ج2، ص263**.

3) مجهول: الحلل، المصدر السابق، ص152.

4) نفسه، ص153.

5) توفيق مزاري: النشاط البحري بالغرب الاسلامي، في عهد الموحدين والمرابطين، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية الجزائر، ط1، 2011، ج1، ص114.

أما فيما يخص مؤونة الجيش فقد كتب إلى جميع نوابه في المغرب يأمرهم بحفظ جميع ما يتحصلون عليه من غلات، فيحفظوا بها في أغلفتها ويطينوا عليها فظل عماله على هذا الحال لمدة ثلاث سنوات حتى صارات كأنها تلال[1].

كما احتاط لمشكلة المياه فأمر بعمل الروايا[2] والقرب والحياض وما يحتاج إليه العسكر وأمر أن تحفر الآبار في الطرق[3]، مما يدل على كثرة جنوده، وبالغ في إعداد الجيوش واستنفارها حتى اجتمع معه مائة ألف مقاتل من الأتباع والسوقة[4] وأمثالهم[5]، كما كان معه بعض القبائل العربية المحالفة والبعض الآخر من قبائل زناتة والأعزاز، حتى ذكر القيرواني أن عبد المؤمن تحرك من مراكش قاصدا إفريقية بأمم لا تحصى[6]، وبالتالي يتبين أن عبد المؤمن احتاط في تكتيكه العسكري لمحاصرة المهدية لكل شاردة وواردة ولكل صغيرة وكبيرة، قد تعكر صفوه أو تبدد انتصاره.

وتتجلى العلاقة بين القائد عبد المؤمن والمجال الحربي عبر مستويات مختلفة؛ وهو ما يسمى في المجال العسكري بالإستراتيجية الحربية.

أولها ما يرتبط بأحكام إمارة الجهاد، وما يتعين على قائد الجيش القيام به أثناء المواجهات العسكرية؛ كأن يتخير للجنود موضع نزولهم لمحاربة عدوهم،

---

1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص428؛ النويري: المصدر السابق، ج24، ص173.

2) الروايا هي القرب.

3) النويري: المصدر السابق، ج24، ص171.

4) السوقة: هي العامة التي تتبع الجيوش للغنائم والسلب.

5) أحمد السيد زيني دحلان:المرجع السابق، ج2، ص263.

6) عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، من أقدم العصور إلى اليوم، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1987، ج6، ص11.

وذلك أن يكونوا أوطأ الأرض مكانا وأكثر مرعى وماء وأحرسها أكنافا وأطرافا ليكونوا أعوانا لهم على المنازلة وأقوى لهم على المرابطة"[1].

وكان جند عبد المؤمن في غاية من التنظيم والضبط حتى أنهم يمشون بين الزرع فلا تتأذى بهم سنبلة[2]، وثانيا: في جميع مشاريع عبد المؤمن العسكرية كان يعنى عناية خاصة باختيار مواقع القتال، وان يتولى القيادة بنفسه –على نحو مباشر– في المعارك المصيرية؛ وعليه لم يكن ثمة من يضارعه في فنون الحرب وإستراتيجيته لاسيما في افريقية أو الأندلس، فقد أستطاع بذكائه أن ينشيء إستراتيجية جديدة، ومنها آن قيمة الجيش ليست في عدده أو عدته، وإنما هي قبل كل شيء في مقدرته وفائدته؛ وكان يرى أن قوة الجيش الرئيسة يجب أن تؤلف من جند المشاة حسنة التدريب والتسليح، فهي العامل الحاسم في اقتحام المدن، والإعلان عن مصير المواقع، وكان هذا خلافا لأسلافه من المرابطين ومعظم ملوك المغرب، ورغم ذلك لم يهمل الأسطول البحري[3]، خاصة في هاته المعركة.

وأعد عبد المؤمن أسطولا من سبعين شينيا[4]، وطريدة[5]، وشلندي[6]، مجهزة بمختلف الأسلحة وغزاة البحر وآلات الحصار، وحتى يضمن عبد المؤمن

---

1) الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق مصطفى رباب، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2000، ص55.

2)السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص121.

3)أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص56-57.

4) الشيني أو الشواني هي السفن الحربية الضخمة التي كانت تتكون من عدة طبقات كالقلعة .**أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة سباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د ت، ص333، هامش 3.**

5) الطريدة أو الطارد سفينة صغيرة سريعة أطلق عليها الإسبان اسم Tarida. **العبادي: المرجع السابق، ص333، الهامش 4.**

6) النويري: المصدر السابق، ج24، ص171.

نجاح الحملة استخلف على مراكش ابنه علي والشيخ أبا حفص عمر بن يحـــي ينتي[1]، وقاد الحملة بنفسه واصطحب معه بعض ولاته وأبنائه[2]، أما الســـلاح فقد يحتفظ به بمقادير وافرة، وقد أنشا مصانع للسلاح في كـــثير مـــن مواقـــع مملكته، فصنع فيها القسي والنشاب والخوذات والدروع والسهام وغيرها مـــن الأسلحة اللازمة للهجوم والدفاع، وفي رواية انه ((كـــان يصـــنع في مملكـــة الموحدين في عهد عبد المؤمن كل يوم عشرة قناطير من السهام)) [3]، ولاشـــك أن هذا الرقم ضخم إنما يدل على اهتمام عبد المؤمن بالتسليح العسكري لما لـــه من دور في استكمال الأدوات الحربية.

وفي نفس الوقت اطمأن على الوضع في الأندلس، ولما اكتملت خطتـــه واستعداداته خرج من مراكش بعد صلاة الصبح، وكانت علامة البدء في إعلان الحراك ثلاث قرعات من طبل ضخم، وكان معه حسب مـــا أوردتـــه بعـــض المصادر، الحسن بن علي أمير أفريقية سابقا[4]، أو التقى به في جزائر بني مزغنة في رأي آخر[5].

الشلندي، وجمعها شلنديات، وهي نوع من المراكب الحربية الكبيرة المسطحة لحمل المقاتلة والسلاح. **العبادي: المرجع السابق، ص333، الهامش 5.**

1) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص198؛ **وعبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1971، ص208.**

2) أماري: المرجع السابق، ص198-199.

3) أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص57-58.

4) السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص120.

5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 428؛ **وابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة، ومراجعة سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة ، ط1، بيروت، لبنان، سنة 2000، ج6، ص215، ص316.**

فضل عبد المؤمن في تكتيكه الآني أن يبدأ حملته على المهدية بالاستيلاء على تونس وبها صاحبها أحمد بن خرسان[1]، الموالي للنورمان وعاملهم عليها، وفي نفس الوقت سار الأسطول الموحدي بقيادة أمير البحر " أبي عبد الله محمد بن ميمون"[2]، وابن الخراط، وأبو الحسن الشاطبي، وغيرهم من رجال البحر[3].

ونزل عبد المؤمن تونس وأرسل إلى أهلها يدعوهم إلى الطاعة فأبوا، فهاجم المدينة وحاول الأسطول اقتحامها من جهة البحر فتعذر ذلك بسبب الريح العاصف التي منعته من دخول البلد، فرجعوا ليباكروا القتال[4]، فلما جاء الليل خرج إليهم سبعة عشر رجلا من أعيان أهلها وسألوا الأمان لأهلها، فأجابهم لذلك[5].

---

1) وابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص218.

2) أمير البحر أبا الحسن علي بن عيسى بن ميمون كان قائدا للمرابطين ثم انضم الى الموحدين حتى صار يسمى بصاحب البحر الموحد، وقد انتهت حياته عندما تعقب فارس المرابطين يحي بن أبي بكر بن يوسف ابن تاشفين الملقب بالصحراوي أو ابن الصحراوية، فيروي البيدق أن هذا القائد الصحراوي حينما فر إلى سبتة أرسل عبد المؤمن وراءه علي بن عيسى بن ميمون، الذي حاصر سبتة بأسطوله، فخرج إليه الصحراوي، وقال له: أريد أن يكون توحيدي – أي الدخول في دائرة الموحدين- على يديك يا أبا الحسن، فقال له نعم أحملك الى الخليفة، ولما أنس له هبط علي بن عيسى من الغراب وأراد الجلوس معه فرأى في وجه يحي الصحراوي الغضب، فأراد أن يرجع إلى الغراب فرمى عليه يحي حصانه وضربه بالرمح فوصل بين الكتفين حتى نفذه.**البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ، 1971، ص67-68**

3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 428؛ **النويري: المصدر السابق، ج24، ص171.**؛ **التجاني: الرحلة، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس، 1981م ، ص345.**

4) أحمد السيد زيني دحلان:المرجع السابق، ج2، ص263.

5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 428؛ **و النويري: المصدر السابق، ج24، ص171.**

واستخلف عبد المؤمن بتونس" أبا محمد عبد السلام الكومي"[1]، بعد ذلك توجه إلى المهدية التي وضع مخيمه قبالتها في 12 رجب 554 هـ/ 30 يوليوز 1159 م أي بعد خمسة عشر يوما من وصوله تونس، وقد انتقل إليها كذلك عن طريق البحر الأسطول الموحدي، والمهدية آنذاك مدينة محصنة كان النورمان يحتلونها منذ 543هـ/ 1148 م غير أن حاميتهم الموجودة بربض زويلة وأمام الخطر الموحدي اضطرت إلى مغادرة الربض عبر منطقة رملية ضيقة جدا، و تحصنت داخل المدينة وهي عازمة على مواصلة المقاومة من هناك، إثر ذلك تمركز عبد المؤمن بالربض المذكور، مع قواته ومساعديه من صنهاجة والعرب وغيرهم من متطوعي المنطقة الذين حضروا للجهاد[2].

وحسب النويري فإن عبد المؤمن سبق له وأن استقبل تلك السنة في مراكش، وفدا من زويلة جاء لطلب النجدة وتقديم التظلمات ضد المسيحيين وما يرتكبونه من مجازر ومن أعمال السلب والنهب، وقد و عدهم الخليفة بتقديم المساعدة وأمرهم بتخزين كميات كبيرة من المؤونة على امتداد الطريق الذي سوف تمر منه الحملة[3]، فدخل عبد المؤمن زويلة فصارت معمورة، وفتح القيروان[4]، ثم اتجه إلى حصار المهدية والتضييق عليها[5].

ثالثا: التكتيك العسكري لعبد المؤمن خلال الحصار أو "التحول نحو العمل البحري".

---

1) التجاني: المصدر السابق، ص346.

2) أمبروسيو هويثي ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، منشورات النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2004، ص177.

3) النويري الكندي: المصدر السابق، ص170-171.

4) المراكشي: المصدر السابق، ص298-299؛ **ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص429**؛ **النويري: المصدر السابق، ج24، ص172**.

5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 428؛ **و النويري: المصدر السابق، ج24، ص171**.

وكشفت الإشارات التاريخية عن خبرة عبد المؤمن بفن الحصار كواحد من فنون الحرب الطويلة الأمد، وباعتبار أن المدن المغربية كانت تتميز بقوة حصونها وصلابة أسوارها، ومهما تميزت به من حصانة شديدة فان عبد المؤمن تمكن من الاستيلاء عليها وكسرها إما بالتكتيك العسكري في استخدام آلات الرمي وخرق الأسوار بالمنجنيقات المتطورة، أو استخدام الدبابات والقذف بالنار وغيرها من الأسلحة، وإما بتكتيك الحرب النفسية في إشهاره عن رغبته في الاستمرار بالحصار ومواصلته حتى النهاية، كان يبني سورا على أسوار المدينة، وإذا اقتضى الأمر فانه يبني مدينة بكل أبعادها الحضارية حول تلك المدينة المحاصرة، حتى تتكسر الروح المعنوية لدى المحاصرين و تخار قواهم ثم يذعنوا بالاستسلام.

حيث يذكر التجاني في الرحلة أن عبد المؤمن ركب في إحدى السفن، ومعه الحسن بن علي الذي سبق وطرد من المدينة، ليتعرف عن كثب على مدى قدرة المدينة على المقاومة، وقد اقتنع بعد إطلاعه على مختلف حدودها البحرية باستحالة احتلالها من خلال معركة واحدة وبأنه ليس هناك من حل لدخولها غير فرض حصار طويل الأمد عليها[1].

فلم يكن دخول المهدية سهل المنال إذ كانت تضم حامية فرنجية قوية، كما كان يسكنها الكثير من أشراف النصارى وفرسانها، وانضاف إليهم من كان بزويلة بعد احتلالها، بذلك أصبح بداخل المهدية من الفرنج ثلاث آلاف[2].

وقد حاول الموحدون فعلا بقيادة عبد المؤمن اقتحامها لكن دون جدوى خلال الأيام الأولى نظرا لحصانتها، وقوة أسوارها وكذا بسبب ضيق الطريق

1) التجاني: المرجع السابق، ص347-348.

2) أماري: المرجع السابق، ص154-155.

الوحيد المؤدي إليها والذي يعتبر المرور منه أمرا إجباريا للقيام بـأي هجـوم ضدها، على اعتبار أن المدينة محاطة بالبحر من بقية الجهات، بحيث أنهـا علـى شكل يد ممدودة كلها داخل البحر باستثناء المعصم[1]، فلا يمكن أن تقاتل مـن البر إلا من أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا[2].

وسوف يدوم حصار المهدية مدة خمسة أشهر وعشرين يوما لم يـتمكن الموحدون خلالها من تحقيق أي تقدم بسبب مقاومة الحامية المسيحية للمدينـة، حيث كانوا من داخل المدينة بروح قتالية عالية يقومون بهجمات مباغتة ضـد أجنحة الجيش الموحدي التي ألحقوها بها أضرارا كثيرة، كمـا كـان الفـرنج يخرجون شجعانهم إلى أطراف عسكر الموحدين فتنال منه وتعود سريعا[3].

وذكر المراكشي شدة مناعتها بقوله:" بلغني أن عرض حـائط سـورها ممشي ستة أفراس في صف واحد، ولا طريق لها من البر إلا على باب واحـد، والبحر في قبضة من في البلد، ويدخل الشيني، كما هو بمقاتلته إلى داخـل دار الصناعة، لا يقدر أحد ممن في البر على منعه، فبهذا قدر الروم على الصبر علـى الحصار، لأن النجدة كانت تأتيهم من صقلية في كل وقت[4].

وللحد من فعالية العدو قام عبد المؤمن "بتكتيك البنـاء وسـد المنافـذ والثغور" بتشييد سور منيع غربها، كما قام أسطوله بسد جميع المنافذ التي يمكن عبرها ركوب البحر في نفس الوقت أعطى الأوامر بهدم أسوار المدينة بواسـطة المجانيق[5]، وأمر أن يحيط الأسطول بها من جهة البحر[6]، ويذكر أن عبد المؤمن

---

1)التجاني: المصدر السابق، ص348؛ **و أمبروسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق، ص177.**

2)البكري: المصدر السابق، ص30.

3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، 429؛ **والنويري: المصدر السابق، ج24، ص172؛ و أحمد السيد زيني دحلان:المرجع السابق، ج2، ص264.**

4) المعجب، ص299؛ **و أماري: المرجع السابق، ص399-400.**

5) البيذق:المصدر السابق، ص80؛ **ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص318.**

6) السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص123.

أراد أن يستطلع حصانتها، فركب شينيا ومعه" الحسن بن علي الزيري" الـــذي كان صاحبها، وتطوف بها في البحر فهاله ما رأى من حصانتها وعلم أنهـــا لا تفتح بقتال برا وبحرا وليس لها إلا المطالولة، وقال للحسن:" كيف نزلت عـــن مثل هذا الحصن؟ فقال: لقلة من يوثق به وعدم القوت وحكم القـــدر" فقـــال "صدقت"[1].

فعاد عبد المؤمن من البحر وأمر أن يترك القتال مؤقتا حتى تجمع الغلات والأقوات فجمع منها حتى صارت كالتلال من الحنطة والشعير، وبذلك صـــبر على حصارها ما يقارب سبعة أشهر[2]، وهو ما يسمى بتكتيك" توفير المؤونة وحرمان العدو منها"، كما لم يقف عبد المؤمن مكتوف الأيدي حيث عمد إلى تكتيك "كسب المدد وتأمين الظهر"، من خلال دعوة المدن والقبائل المجـــاورة للمهدية حيث وصلته وفود كل من صفاقس وطرابلس وقفصة وجبل نفوســـة وقصور إفريقية معلنين طاعتهم للموحدين[3]، وفتح مدينة قابس بالسيف[4].

بذلك تم للموحدين تحرير بعض السواحل الإفريقية من أيدي النورمـــان، وشددوا الحصار على المهدية ونصبوا عليها المجانيق والرعادات في البر والبحـــر و لم يرفع عنها القتال ليلا ونهارا وجعل عبد المؤمن قتالها نوبـــا علـــى القبائـــل الموحدية حتى فتحها [5]، مما يبين الإستراتيجية المهمة وبعد النظر لعبد المؤمن من خلال عدم منح قبيلة ما لوحدها شرف الفتح، أو إلقاء التعب واللوم على جهة واحدة فقط، إن قدر الله الهزيمة.

---

1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، 429؛ **والنويري: المصدر السابق، ج24، ص172**.

2) أحمد السيد زيني دحلان:المرجع السابق، ج2، ص264.

3) الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966، ص12.

4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص429.

5) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص198؛ **ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، 1286 هـــ**، ص111.

وبعد أكثر من شهر على بداية الحصار وبالضبط في 21 شعبان554 هـ/ 7 سبتمبر1150م، حل الأسطول الصقلي وقوامه 150 سفينة "شينيا" غير الطرائد أو مئة جفن حسب بعض المصادر[1]، دون إحصاء السفن التي تحمل المؤونة والعتاد الحربي والخيول بالمدينة، وكان هدفه فك الحصار عنها وتزويدها بالمؤونة[2]، آنذاك قال– حسب التجاني- قائد الأسطول الموحدي" ابن ميمون" لعبد المؤمن :" إن هذا الأسطول قد أقبل و لا يصل إلا متفرقا بحكم النتوء فلتأذن لنا في الخروج إليه" [3].

وبما أن عبد المؤمن لم يجب، فقد استغلوا صمته وأسرعوا نحو السفن التي وضعوا بها الذخائر الحربية اللازمة وخرجوا ضد العدو مباشرة، في حين قام غيرهم من القوات الموحدية بتطويق الشاطئ ، وحسب نفس الحاكي دائما فإن عبد المؤمن كان يبكي ساجدا لله وهو يقول:" اللهم لا تضعضع دعائم الإسلام"[4].

وكان يقود الأسطول الموحدي ابن ميمون الذي أمر باعتراض طريق السفن المسيحية، التي أنزل بعضها الشراع استعدادا لدخول الميناء، لكن لما رأى النورمان كثرة عساكر المسلمين دخلهم الرعب، فانسحبت[5]، وحسب ابن الأثير فقد وقعت معركة بحرية فعلا أسفرت عن هزيمة الأسطول الصقلي

---

1) مجهول: الحلل، المصدر السابق، ص154.

2) يبدو ان السطول الصقلي كان في مهمة عسكرية في جزيرة يابسة من الجزائر الشرقية وقد سبى أهلها فأرسل الملك غليام الأول إلى بترو"بطرس" قائد هذا الأسطول يأمره بالتوجه على جناح السرعة لنجدة نصارى المهدية. **التجاني: المصدر السابق، ص348؛ و السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص123.**

3)التجاني: المصدر السابق، ص348.

4)نفسه ، ص348.

5)يبدو أن ملك صقلية وليام بن رجار قد رأى في ذلك الوقت عدم التورط في حروب مع الموحدين كي يتفرغ لحرب فرديريك الأول" بربروسا" إمبراطور ألمانيافترك المهدية لمصيرها المحتوم.

André J : Histoire de l'Afrique du nord p.110.

وتبعثرت سفنه وأسر المسلمون سبع شواني[1]، وقيل ثمانية منها، في حين تراجعت بقية السفن منهزمة، إثر ذلك صلى عبد المؤمن شكرا لله ونفح قوات أسطوله ب 12 ألف دينار مؤمني[2].

ويجب أن ننوه بتكتيك عبد المؤمن من خلال المزاوجة بين الحرب البرية والبحرية أي استخدام الجيش البري والأسطول، حيث نجح في تخويف أصحاب الثغور القريبة بقوته وإمكانياته فجاءوا طائعين بعدما شعروا بالألمان ومن جهة أخرى دب الرعب والخوف واليأس في سكان المهدية من النورمان وشدد التضييق عليهم، ولولا هذه التكتيك لنجح النورمان في فك الحصار وإيصال الإمدادات إلى المهدية[3].

ورغم ذلك واصل نصارى المهدية الصبر على الحصار مدة أربعة أشهر أخرى إلى متم ذي الحجة 555هـ/ 11 يناير 1160م، حتى فنيت أقواتهم وأكلوا خيلهم[4]، وأصابتهم عليها شدة شديدة من غلاء السعر، بلغني عن غير واحد أنهم اشتروا الباقلاء في العسكر، سبع باقلات بدرهم مؤمني، وهو نصف درهم النصاب[5].

وبعد أن فقدت المهدية كل أمل في تلقي النجدة من جديد والإفلات من القبضة الموحدية، حضر عند عبد المؤمن أحد عشر فارسا من الفرنجة المسيحيين[6]، وقيل عشرة فرسان[7]، وقيل ثمانية[8]، عبروا له عن استعدادهم

---

1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص430.

2) أمبروسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق، ص178.

3) توفيق مزاري: المرجع السابق، ص118.

4) النويري: المصدر السابق، ج24، ص173.

5) المراكشي: المصدر السابق، ص300.

6) أمبروسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق، ص178.

7) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص430؛ **و السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص123.**

8) مجهول: الحلل، المصدر السابق، ص154.

لتسليم المدينة مقابل منح الأمان لهم ولأهلهم ومتاعهم والسماح لهم بالرحيل، ورغم أن عبد المؤمن حاول في البداية إقناعهم باعتناق الإسلام، فإنهم رفضوا ذلك رفضا قاطعا، لذلك لم يجد بدا من منحهم ما طلبوا، وأمر بنقلهم بحرا إلى بلادهم، حيث قيل أنهم وصلوا سالمين[1]، وقيل أنه كان فصل شتاء، والبحر هاج عند اقترابهم من صقلية، مما أدى إلى مقتل أغلبهم غرقا[2].

وعموما ما فعله عبد المؤمن كان السبب في إنقاذ كل المسلمين الذين كانوا في صقلية، والذين قرر وليم ابن رجار قتلهم بدون استثناء إذا ما قتل عبد المؤمن حامية النورمان التي كانت في المهدية[3]، وهو ما يبين حكمة وبعد نظر الخليفة والقائد الجديد للدولة الإسلامية في المغرب الإسلامي.

وبعدما أفرغت المهدية من الجنود النورمان دخلها عبد المؤمن، دخول الفاتحين يوم عاشوراء، من شهر محرم سنة 555 هـ/1160م، بعد 12 عشر سنة وهي في يد النورمان[4]، وكانت أكثر مدن إفريقية تحصنا، وسوف تصبح في وقت لاحق أهم معقل للجهاد البحري في بلاد المغرب وهو ما أكسبها شهرة تثير الفزع[5].

---

1) عبد الكريم الفيلالي: التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، شركة ناس للطباعة، القاهرة، ط1، 2006، ج3، ص17.

2) السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص124..

3) عبد الكريم الفيلالي: المرجع السابق، ج3، ص17.

4) النويري: المصدر السابق، ج24، ص173.

5) أمبروسيو هويثي ميراندا: المرجع السابق، ص179.

رابعا: إستراتيجيته بعد الحصار" إستراتيجية إنشاء قاعـــدة عســـكرية لضمان التوسع والولاء"

يبالغ النويري عند حديثه عن ما غنمه الموحدون من محاصيل فلاحية عند مغادرة المسيحيين المهدية، حيث يقول إن هذه المحاصيل بعد جمعهـــا، كونـــت جبلا من القمح وآخر من الشعير[1].

وتتأكد مبالغة النويري، من كلام عبد المؤمن الذي يقول أثناء حديثه عن احتلال قفصة إنه رغم حصول الجنود على المؤونة الكافية تلك الســـنة، فـــإن مطامير الحبوب كانت فارغة وموسم الحصاد لم يكن جيدا[2].

وهذا ما يؤكده كذلك صاحب المعجب الذي يقول إن الموحدين عانوا كثيرا من الخسائر أثناء حصار المهدية، وإنه بسبب ذلك ارتفعت الأســـعار في مخيمهم لدرجة وصل معها ثمن سبع حبات من الفول درهما مؤمنيا واحدا[3].

وقد سعى الحسن بن علي ليصبح عاملا موحديا على المهديـــة، لكـــن الخليفة فضل عليه أبا عبد الله محمد بن فرج الكومي، وقد استقر الحسن بعـــد ذلك في زويلة[4].

كما أن أثناء الحصار للمهدية أرسل الخليفة عبد المؤمن إلى قابس جيشـــا وضع على رأسه ابنه عبد الله، وما إن علم حاكمها" مدافع بن رشيد" حتى فـــر إلى عرب طرابلس، لكن في النهاية انتهى به المطاف مستسلما لعبد المؤمن الذي سمح له بالعودة والاستقرار في قابس[5].

---

1) نهاية الأرب، ج24، ص 173.

2) مجموع رسائل موحدية، من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، اعتنى بإصدارها، أفريست لفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941، الرسالة 20، ص110.

3) المراكشي :المصدر السابق، ص 299-300.

4) التجاني: المرجع السابق، ص349.

5) نفسه، ص100-101.

ويذكر صاحب المعجب أن عبد المؤمن استكمل بعد فتح المهدية سيطرته على السواحل الإفريقية ففتح طرابلس الغرب وأرسل إلى بلاد الجريد وهي توزر وقفصة ونفطة والحامة وما إلى هذه البلاد ففتحت كلها وأخرج الإفرنج منها وألحقهم ببلادهم فمحا الله به الكفر من إفريقية وقطع منها طمع العدو، فانتبه بها الدين بعد خموله وأضاء كوكب الإيمان بعد انطماسه وأفوله[1].

وأقام عبد المؤمن في المهدية عشرين يوما يرتب أحوالها ويصلح ما ثلم من أسوارها ونقل إليها الأقوات والجيوش والعتاد الحربي، وولى عليها حاكما من أقاربه هو " محمد بن فرج الكومي" وترك إلى جانبه الحسن بن علي بن يحي الزيري الذي كان صاحبها، وأمره أن يقتد برأيه[2]، ثم رحل عنها عبد المؤمن في صفر من نفس السنة مجها إلى مراكش[3]، بعد أن اتخذها عاصمة شرقية للمغرب الأدنى أي للجهة الشرقية للدولة الموحدية وهي مقابلة لمراكش في الجهة الغربية بالمغرب الأقصى، حتى تكون قاعدة أمامية لرغبته في التوجه نحو الشرق"مصر"[4].

والملاحظ أن إستراتيجية عبد المؤمن كانت تأسيسية، تهدف إلى بناء قاعدة عسكرية بحرية وبرية تسمح لدولة ناشئة كالدولة الموحدية رسم إستراتيجية بعيدة المدى لتحقيق أهداف جغرافية وحضارية[5].

كما نلاحظ أن عبد المؤمن استفاد من الأسطول المرابطي، والمقدر بمائة وعشرين قطعة، فضلا عما استولى عليه عبد المؤمن من السفن الحمادية عند

---

1) المراكشي: المصدر السابق، ص300؛ **و أماري: المرجع السابق، ص320-321.**

2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص431.

3) السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص124؛ **و أحمد السيد زيني دحلان:المرجع السابق، ج2، ص264.**

4) أشباخ: المرجع السابق، ج2، ص49-50.

5) توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص121.

دخوله بجاية، وقد قدرت المصادر عدد السفن التي استعملها وحدها في حصار المهدية بسبعين سفينة"شينيا"[1].

كما أن فتح المهدية سمح للموحدين بسط نفوذهم إلى حدود مصر[2]، و إقامة مراكز بحرية في جزيرة جربة التي ظلت تابعة للموحدين حتى أواخر الدولة الموحدية، وكذلك طرابلس وهي أقصى مركز بحري بلغه الأسطول الموحـــدي، لأن المنطقة الممتدة بين الإسكندرية وخليج تونس أقل ملاءمة للملاحـــة فـــلا يوجد ميناء طبيعي غير طرابلس[3].

كما سمح فتح المهدية تحقيق إستراتيجيته المرسومة منذ البداية وهو الحـــد من توسع الأيوبيين والتفكير في الوصول إلى المشرق وإعلان خلافة إسلامية.

الخاتمة:

عندما فتح الله مدينة المهدية جلس عبد المؤمن للموحدين مجلس التهنئة، ولما دخل إليه الفقيه المالقي أبومحمد[4].فقال الخليفة له يا أبا محمد: هل قال احد في هذا الفتح شيئا ؟

قال: قال فيه، ابن حبوس[5]، قصيدا حسنا أوله [كامل]

شدت إليك على الرياح سروج أين الفرار باهلكم يا جوج قال الخليفة: يكفيه هذا البيت وأمر له بجائزة[1].

---

1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص428.

2) ستانلي بول: الدول الإسلامية، تعريب محمد صبحي، دمشق، 1973، ص89.

3) أدم متز:الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط3، 1957، ج2، ص427.

4) إبن حبوس:هو محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوس من أهالي فأس عالم وشاعر يتقدم أهل زمانه 570/500، **انظر ابن الابار: التكملة لكتاب الصلة ، مطبعة روخس، مجريط، 1886م، رقم 1055، ص371**.

5) أدم متز: المرجع السابق، ج2، ص427.

كان لإستراتيجية عبد المؤمن الأثر الكبير في النصر الذي حققته البحرية الموحدية في سواحل المهدية، وما تبعه من تصفية لممتلكات النورمان على الشواطئ الإفريقية.

ويجب أن ننوه بإستراتيجية عبد المؤمن العامة في حروبه من خلال المزاوجة بين الحرب البرية والبحرية حيث أخضع أصحاب الثغور القريبة وبث الرعب والخوف واليأس في سكان المهدية من النورمان.

كما كان لهذه الإستراتيجية الأثر البالغ في تطور جهاد الموحدين البحري وتنامي مكانته في الحوض الغربي للبحر المتوسط من خلال السيطرة على المهدية وتحويلها لقاعدة بحرية أمامية للتوجه نحو الشرق وتم بذلك لعبد المؤمن ملك إفريقية كلها من طرابلس الغرب إلى السوس الأقصى[2].

سمح فتح المهدية من إعلان للعالم أن هناك قوة جديدة فارضة لنفسها في البحر المتوسط مما جعل القوى البحرية المسيحية تسعى للتقرب من الموحدين، وتعمل على عقد اتفاقيات تجارية معهم[3].

---

1) ابن صاحب الصلاة:تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987، ص71.

2) المراكشي: المصدر السابق، ص124؛ و أماري: المرجع السابق، ص63-64.

3) عبد الهادي التازي: الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملة المغربية، الرباط، ط1، 1984، ص51.

قائمة المصادر والمراجع:

مجموع رسائل موحدية، من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، اعتنى بإصدارها، أفريست لفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941.

1-الآبار: التكملة لكتاب الصلة ، مطبعة روخس، مجريط، 1886م.

2- ابن لأثير: الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2003.

3- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة، ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة ، ط1، بيروت، لبنان، سنة 2000.

4-البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت.

5-البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ، 1971.

6-التجاني: الرحلة، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس، 1981م.

7-الحموي: معجم البلدان، دار صادر بيروت، 1977.

8- ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرها المحمية، 1286 هـ.

9- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1972.

10-الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.

11- ابن صاحب الصلاة:تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987.

12- ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" قسم الموحدين"، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، وآخرون، دا الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985.

13-الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق مصطفى رباب، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2000.

14-مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة، ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1958.

15- مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1979.

16-المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان، ط3، د ت، د ط.

17- النويري الكندي: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، لبنان، 1954.

قائمة المراجع:

1-أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1996.

2-أماري ميخائيل: المكتبة العربية الصقلية، دار صادر ، بيروت، ليبيسك 1857م.

3-بنحماده سعيد: الغرب الإسلامي، مباحث في العلوم التجريبية، دار رؤية، للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013.

4-بول ستانلي: الدول الإسلامية، تعريب محمد صبحي، دمشق، 1973.

5-التازي عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، من أقدم العصور إلى اليوم، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1987.

6-التازي عبد الهادي: الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملة المغربية، الرباط، ط1، 1984

7-زيني دحلان أحمد السيد: الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، المطبعة الأميرية، مكة، 1302هـ.

8-السلاوي: الاستقصاء ، تحقيق جعفر الناصري، و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954.

9-العبادي أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة سباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د ت.

10-العبادي أحمد مختار، و السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار الثقافة العربية، بيروت ، 1972.

11-عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، تعريب أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط1389هـ/1980 .

12-علي علام عبد الله: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1971.

13-الفيلال عبد الكريم: التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، شركة ناس للطباعة، القاهرة، ط1، 2006

14-لي تورنو روجي: حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني والثالث عشر، تعريب أمين الطيبي، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط 2، الدار البيضاء، 1998.

15-متز أدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط3، 1957.
16-مزاري توفيق: النشاط البحري بالغرب الإسلامي، في عهد الموحدين والمرابطين، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية الجزائر، ط1، 2011.
17-هويثي ميراندا أمبروسيو: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، منشورات النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2004.